

جدلية الفهم والتأويل

Dialectic of understanding and interpretation

محمد حدوارة	مهنان ربيعة*
المركز الجامعي شريف بوشوشة-أفلو (الجزائر)	جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)
ben.had33@gmail.com	Djana14djana@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/30 تاريخ القبول: 2023/02/26

المخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الإنتاج المعرفي حول الفهم والتأويل وانفتاح العقل نحو تساؤلات لا محدودة وذلك من خلال المنجزات العلمية المحققة؛ هذا المسعى الذي يقوم على البحث باستخدام مناهج متباينة وفق السياقات المعرفية قصد بناء نمط قرائي تجاه خطاب يستغرق الإنسان في أبعاده الميقاتيّة وكذا المنطق ليحدث حيوية إنتاجية يقضي بدوره أفكارا ونظريات ويحقق آخرها .

لا شك في أن المنطق قد عرف صيغا عديدة في الخطاب اللساني، يستند إليها أصحاب التصوص من أجل التأثير على المخاطب فيشحن الخطاب بلحمة من القرائن المنطقية واللغوية لينتج نسقا يحمل فيه صورا متعددة تستفز المتلقي فيعمد إلى فهم النص وتأويل دلالاته وهنا عبر النقاد والفلاسفة عن الفهم والتأويل بتصورات متباينة حتى يكاد المتلقي لا يفرق بينهما. فما هي حدود التأويل إزاء الظواهر النصية؟ وهل نقول لفهم أم نفهم لنقول؟

كلمات مفتاحية: التأويل، الفهم، جدلية، القراءة، الهرمنيوطيقا

Abstract:

This their cognitive study to the detection about the production around close the interpretation and openness of the brain towards inquiries seeks limited and that through the scientific executors the investigator; The effort raved who the searching through the use of methods straightens on the different cognitive contexts reconciled constructive intention my manner of readers towards speech occupies his the chronological human in distances and as that speech to productive energy happens his rotary become remote its thoughts and theories and her other realizes.

Nodoubting in that the speech introduced many forms in the lingual speech, leans to it texts owners. In order to have an impact on the addressing, so the speech in met from the logical spouses ships to order results carries in him numerous masts the recipient so understanding of the text and his baptizes to interpretation of evidence weakness across the critics and the philosophers about composes them and the interpretation in visualizations is different corroded the recipient be about to does not divide between them. So what are the borders of the interpretation opposite the textual phenomena? Is it explain to understand? or understand to explain?

Keywords: Understanding, nterpretation, Dialectic, Reading, hermeneut

● مقدمة:

يُنتج عن الاختلاف والتغير حركية في بناء رؤيا الإنسان لعلمه، واللغة هي المحرك الجوهرية لهما فهي بداية كبرى لتأسيس الفرضيات والنظريات ووسيطها؛ كما أنّها أحد المعايير الهامة التي هيأت للبشرية البيئة العلمية من أجل فهم الأنا و الأنا الآخر في أي خطاب حيث تتفاعل عقول البشر فيه. وكان معيار العقل هو البحث والتخطيط والإبداع كل هاته الآليات يمكن أن تساهم في عملية الإنتاج اللغوي لتشكل إichاءات متألّفة لها طاقاتها الدلالية يتداخل بها السياق والتّسق ليشكلنا نصا إبداعيا في متنه ثراء جمالي لا تخلو مضامينه من دلالات عابرة لحدود الزّمان و المكان.

تتحرّر البنية اللامركزية للنّص اللّغوي أثناء تجلّيه للقارئ فالنص عند شلايرماخر " وسيط لغوي ينقل فكر المؤلّف إلى القارئ فهو يشير في جانبه اللّغوي إلى اللّغة بكاملها، ويشير في جانبه التّفسي إلى الفكر الدّاتي لمبدعه "¹ هذا التعريف يرمز بأن للقارئ والمؤلّف دور واحد هو إنتاج دلالات لهذا النّص فالمؤلّف يحاول أن يقول ما يريد داخله الدّاتي في قالب لغوي معين ليستعين به القارئ على رفع اللبس عن جانب الفكر الغامض له - المؤلّف - والتأويل هو السّبيل لذلك المقصد وتحصيل الفهم إذ لا فائدة من أي نص لا يحمل معنى أو بمعنى أصح معنى المعنى لأنّه يفتح أفقا تتجاوز الدلالة إلى التّدليل² فهذا يرتبط أساسا بمسلك الوصول فالتأويل على سبيل الفهم أن يكون موافقا للغة النص، والمعنى الذي أوّل إليه اللفظ يدل بأي طريقة إلى المعنى المعروف أو يشير إليه كلفظ الحمام الأبيض فهو طائر يحمل معاني الحرية والاستقلالية والصفاء النقاء.... إلخ فالعلامة إذا تحدّد استخدامها فإنّها تحدث تحدّدا في حركة التّأويل، وما يجعل هذا التّجدد لا متناه هو المؤوّل بثقافته ومذهبه ومرجعته، وبناء على ما تمّ قوله: فالفهم والتّأويل قد شكلا جدلا بين فقهاء الفلاسفة والهرمينوطيقا في كونهما يتعاملان مع اللغة. فهل يرتبط الفهم بالتّأويل أم ينفصلان وكيف تمّ الانتباه حديثا إلى الفهم. هل نقصد بالفهم هو الذي يأتي على صورة مباشرة أم يتعدى حدود الحس والعقل؟ كيف أحدث الفهم جدلا عميقا بين العلماء في وجود الهرمينوطيقا؟ ولتيمّ طرح هذا الجدال بين التّأويل والفهم سار بنا البحث أولا للوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لهما:

1- مفهوم التّأويل عند العرب:

1-1- لغة: فالتّأويل لغة مصدر من الفعل الثلاثي آل جاء على وزن تفعيل وفعله الرّباعي "أوّل" والتّأويل مشتق من آل يؤوّل أي رجع قال الأزهري: «وأما التّأويل فهو تفعيل من أوّل يؤوّل تأويلاً وثلاثيه آل يؤوّل: أي رجع وعاد³» ويعني العاقبة وما صار إليه الشيء أي المصير والكلام يرجع إلى حقيقة ويصير إليه.

1-2- اصطلاحا: فقد عرّفه ابن حزم الظاهري (ت456هـ) أنه «نقل اللفظ عمّا اقتضاه ظاهره وعمّا وضع له في اللّغة = إلى معنى آخر، فإن كان نقله صح ببرهان، وكان ناقله واجب الطاعة= فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك، اطّرح ولم يلتفت إليه،

¹ نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التّأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص 13.

² العيد جلوي، عبد القادر: القراءة والتّأويل من منظور اصطلاح، العدد28، جوان2017، ص 80.

³ محمد الأزهري: تهذيب اللغة 15، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 437.

وحكم لذلك الثقل بأنه باطل»⁴، ويوجز أبو الوليد الباجي (ت484هـ) في تحديد مفهوم التأويل كونه: «صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله»⁵، ويؤكد ذلك أبو حامد الغزالي (ت505هـ) بقوله: التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر»⁶، فهو إذن يميل باللفظ الظاهر إلى المعنى الخفي بدليل قاطع.

وحديثاً أصبح التأويل مقترناً بعملية جديدة تعرف بنظرية القراءة، وليس هذا فقط بل صار تابعا لها كآلية من آليات إنتاج المعنى وفهم النص أو الخطاب «والمحدثون يطلقون التأويل على أفعال الفهم وبناء المعنى»⁷، فهذا الارتباط بين ما جاء به علماؤنا القدامى لا يفرق شيئا عما جاء به المحدثون لكن كانت رؤيتهم للتأويل بنيوية واقتصر على أنه ممارسة لغوية لفهم أجزاء النص وفك شفراته، ويعلق على هذا نصر حامد أبو زيد بعد طرحه لمسألة الإجهاد في التأويل الذي يعقب كثيرا من التساؤلات، ويرى التأويل «حركة ذهنية لا تخضع لوسائط خارجية، وإنما إنتقال من الذات للموضوع بشكل مباشر، ومن خلاف التفسير الذي يتحقق قوامه إلا بالتوسط»⁸.

مما يمكن أن نستنتجه من تعريف نصر حامد أبي زيد للتأويل هو ما يحمله من الجدل القائم بين (النص) و(الذات) و(الموضوع)، حيث لا يمكن لهذه الآلية أن تصل إلى الرسالة القصدية دون أن يستعين صاحب التأويل بالفهم والتفسير.

2-1- التأويل عند الغرب:

لقد أسست الهيرمينوطيقا لنظرية الفهم من خلال عملية التأويل بداية من النص الديني إلى النصوص الاجتماعية والسياسية والأدبية... إلخ اعتمد فيها التأويل على المناهج اللسانية وعلم الدلالات والإشارات⁹، فنجد أكثر النصوص إنتاجا هي النصوص التي تعرضت للتفسير كالنصوص الدينية والتاريخية والأدبية والاجتماعية وتختلف درجات التأويل لاختلاف أنساقها الخطائية وتعدد أشكالها وهكذا" قد تحوّل التأويل من كونه مصطلحا متداولاً في مباحث النصوص الدينية إلى علم يبحث في آليات الفهم¹⁰، ولبلوغ التأويل كما نرى هو فعل قرائي يستند إلى خلفيات وقواعد ومبادئ لبلوغ المعنى وفق استراتيجيات وقوانين محددة سواء تلك المتعلقة بعلوم اللسان أم ثقافة النص.

وقد لحّص الباحث ريتشارد بالمر للتأويل ستة مفاهيم جُمعت فيها التعريفات الكرونولوجية للمصطلح وهي:

"1- نظرية تفسير الكتاب المقدس وهي أقدم نظرية في هذا السياق ويقصد بها الهيرمينوطيقا.

2- المنهج اللغوي العام، وقد ظهر هذا التعريف في عصر التنوير.

⁴- ابن حزم الظاهري: الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1، ص 43.

⁵- أبو الوليد الباجي: الحدود، تج: نزيه حماد، مؤسسة الزعي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 48.

⁶- أبو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تج: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997م، ج2، ص 49.

⁷- محمد بازي: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم والناشر، ط1، 2010م، ص 26.

⁸- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1900م، ص 09.

⁹- ينظر: حسن حنفي: الهيرمينوطيقا والتفسير الديني، ص 61.

¹⁰- خالد بن عبد العزيز السيف: ظاهرة التأويل الحدائي في الفكر العربي المعاصر-قراءة نقدية إسلامية، ط3، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة.

3- فن الفهم كما عرّفه شلايرماخر.

4- أساس المنهج المعرفي في العلوم الإنسانية، كما فهم ويلهم دلتاي.

5- فينومينولوجيا الوجود ، وفينومينولوجيا الفهم الوجودي وهو ما بنى عليه كل من هايدجر وغادامير.

6- إمكانية تقسيم أنساق التأويل التي يستعملها الإنسان للوصول إلى المعاني في الأساطير والرموز وهو تعريف بول ريكور¹¹.

يشمل التأويل كمّا هائلا من الإحالات فهو: "خزان كبير لسياقات بالغة الغنى والتنوع، والتجدّد، وهذا ما يمنح الذات المؤولة موقعا بالغ الأهمية، فلها وحدها الصلاحية في تحيين هذه الدلالة أو تلك ضمن هذا المسار التأويلي أو ذاك ضمن شروط "الانتقاء السياقي" والظروف المقامية الخاصة بكل فعل قراءة"¹².

وهكذا يتطلب النص من المؤلّ افتتاحا فكريا موسوعيا ليكشف عن دلالاته فلهما علاقة تكاملية فلا وجود لقارئ دون نص، ولا وجود لنص دون قارئ.

3-1- القراءة والتأويل:

لقد انطلق الحداثيون بهذا المصطلح في مجال النقد مركزين على وظيفته الأساسية ألا وهي الإنتاجية فقد جاء في قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر على أنها « مفهوم يشير إلى تغيير الإشارات النصية باعتبارها عناصر رمزية معبرة عن النص وعن الحضارة التي نشأ أو ظهر فيها النص ، وهذا المفهوم شائع في بحوث ودراسات النقاد الذين يعتمدون في أعماقهم عن نظرية التلقي المفتوحة»¹³

إذن فالقراءة هدفها تتبع العلامات الخطية المشكلة للنص الإبداعي الذي يعبر عن حضارة إنسان في خط زمني معين وهذا المتداول الآن، فالقارئ هو الذي يقوم بإجرائه المركزي في تأويل النص و إنتاج المعنى المضمن في هذا النص.

إن اشكالية القراءة والتأويل تتسع لمفهوم البحث عن المعنى الرئبي الذي لا يمكن التحكم فيه وإن كان ضمن السياق أو المقام، وهذا ما أراده الحداثيون حين ربطوا القراءة بالتأويل فكان للنقد الصدارة في التعامل مع هذا المصطلح-القراءة- وبذلك فقد اتخذ الباحثون كل ما هو حاصل من فعل القراءة هو جوهر التأويل¹⁴.

إن نظرية القراءة حاولت أن تعطي بعدا آخر لمفهوم التأويل خاصة ما يتعلق مع النص اللغوي، لقد برزت بكثير من التساؤلات حول هذا النص ليظهر القارئ إمكانيته، ولكنها تعدت حدود ما هو مضبوط مما خطّه العلماء الأوائل لقد أرادت أن تحرر القارئ من سلطة النص ولكن النص اللغوي يمكن القارئ من أن يجول فيه برغبته وأفكاره ويحاول أن ينتج له مدلولات. إن هذا العدول لا يجدي إلى الحقيقة بل ما يراه هو فقط، وقد لا يلتقي نتاجه التأويلي إلى نفس ما أنتجه غيره، وهكذا تحصل حركة الابتداء على حساب الإبداع.

¹¹ - داخل الحمداني: التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، ع1، مؤسسة مثل الثقافية، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، 2015م، ص 96-97.

¹² - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل للسيميائيات ش.س.بورس، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 2005م، ص 185.

¹³ - حجازي سمير سعيد: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 66.

¹⁴ - لحمداني حميد: القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2003م، ص 262.

4- في مفهوم الفهم:

4-1 الفهم لغة: ورد في لسان العرب: "فَهَمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ، وَفَهَّمْتُ فَلَانًا، وَأَفْهَمْتُهُ وَتَفَهَّمْتُ الْكَلَامَ: فَهِمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَرَجُلٌ فَهْمٌ: سَرِيعُ الْفَهْمِ"¹⁵. ويفصل جبران مسعود في معناه اللغوي بأن " الْفَهْمُ : السريع الفهم، والفهم : تصور الشيء وإدراكه ومعرفة بالقلب والإحاطة به ، وجمعه أفهام وفهوم"¹⁶

وقد جاءت كلمة الفهم في قوله تعالى: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ"¹⁷ (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) أي لتخصيصه بالفهم دون داود عليه السلام، يدل على أنه المصيب للحق عند الله. ولولاه لما كان لتخصيصه بالفهم معنى¹⁸، فقد أصاب الحكم عن علم ومعرفة وتفقه لما آتاه الله من ذلك في قوله (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا). فالفهم هو حاصل النظر في الأمر وإدراكه واستنباط معناه لا يؤتمرها الله إلى عامة خلقه حيث تتفاوت درجاته من إنسان إلى آخر، وفي وصية عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- "وَالْفَهْمُ الْقَهْمُ فِيمَا أَدْلَى إِلَيْكَ"¹⁹ وهذا الكتاب دليل على تأكيد حسن التصور والنظر والتمييز بين الحق والباطل والحقيقة والزيف والصحيح والفساد.

4-2 الفهم اصطلاحاً: (Understanding)

استطاعت الهيرمينوطيقا أن تتجاوز الفهم الذي كان مبنياً على المنطلق الديني إلى المنطلق الفلسفي والنقدي، واختلفت مفاهيم النقاد الغربيين حول مفهوم الفهم التي قد كانت معالم الحديث عنه "أثناء نقل فريدريك شلايرماخر (ت1768) *Friedrich Schleiermacher* الهيرمينوطيقا من دائرة اللاهوت إلى فضاء التفكير الفلسفي لتكون فناً للفهم عينه"²⁰، فالهيرمينوطيقا كانت علماً يختص بتأويل النصوص الدينية في الفلسفة الإغريقية وتفكيك رموز لغة الآلهة لتصبح علم تأويل النصوص عامة لتشمل كل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذا تمهيد لجمال الفهم لتصبح الهيرمينوطيقا فن الفهم.

4-3 الفهم عند شلايرماخر:

بعدما كانت الهيرمينوطيقا تعني فن التأويل النصوص الدينية جاء شلايرماخر ليشير إلى أنها فن للفهم وأكد شلايرماخر أن الفهم هو السعي لتحصيل رؤى جديدة، ويصر أيضاً على أن يفهم المفسر النص كما يفهمه مؤلفه، وبعد ذلك يتوجب عليه فهمه بشكل أفضل من المؤلف²¹. وهنا يركز في قوله على التأويل الموضوعي والنفسي الذي يدفعنا إلى الفهم وإذا تزودنا بشروط هذا الفهم فإنه يصبح عبارة عن فن التأويل للنص أو الخطاب الذي يتأسس على اللغة التي من خلالها نفهم النص وفق الدائرة اللغوية التي تستهدف موضوعيته والتي

¹⁵- ابن منظور: لسان العرب، تج: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2012م، ص 432.

¹⁶- جبران مسعود: الرائد " المعجم اللغوي الأحدث والأسرع"، دار الملايين . بيروت، لبنان، ط4 ، 1992، ص 610

¹⁷- سورة الأنبياء: الآية: 79.

¹⁸- محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط1، 1957م، ص 4290.

¹⁹- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: الأسماء والصفات ، تحقيق محمد زاهر ابن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر ط1، ج10، ص132، 1993

²⁰- عبد الغني بارة، الهيرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008م، ص 175.

²¹- ينظر: دافيد جاسير: مقدمة في الهيرمينوطيقا، تر: وجيه قانصو، دار العربية للعلوم، ط1، الجزائر، 2007م، ص 119-120.

نعتبر عنها بمستويات اللغة، فلقد ميز شلايرماخر بين صياغة القول في اللغة من قبل التحدث وبين فهم هذا القول من قبل المتلقي بعد تلقيه حيث يلجأ القارئ إلى الدائرة السيكلوجية فيحلل ماهو خاص بالمؤلف من خلال سياقات متعددة: الزمن، الأحداث، والنفسية ليستطيع الوصول إلى معناه وفهم قصديته .

والتأويل بما هو علاقة حوارية، ينصب على العملية الثانية باعتباره فن الفهم، هذه العلاقة التي تجعل المتلقي يستأنف معاني النص ويعاود معاشة أفكار المتحدث من خلال النفاذ إلى نفسية المؤلف²². فالفهم عند شلايرماخر قد تعدى مقصدية النص إلى فهم صاحب النص بل يتجاوز بذلك أفاق معنى المعنى، والنص إذن هو الوسيط بين المؤلف والمتلقي.

4-4- الفهم عند دلتاي ويلهلم Wilhelm Dilthey (1833):

جاء مكملاً لما وضعه شلايرماخر فقد عرفه بأنه: "الاسم الذي يطلق على العملية التي تصبح بها الحياة العقلية معروفة من ثنايا تعبيراتها المعطاة للحواس"²³، هو فهم وعي الانسان من خلال تعبيراته. وموضوعه العلوم الإنسانية منتقلا من المعطى الحسي للمعطى النفسى من خلال الكلام والأفعال وهو عملية إبداعية لفهم النصوص الإنسانية التي تمثل الوجود التاريخي للإنسان "فهو تهدف إلى فهم الإنسان في أبعاده المختلفة كسيرورة وتاريخ وعي وإرادة واندماج"²⁴ إذن فعملية الفهم في نظر دلتاي لها بعد روحي تكشف أسرار وجود الإنسان من خلال لغته فهو فهم تاريخي يندمج معه المتلقي لحظة التأويل.

4-5- الفهم عند هايدجر (1889Martin Heidegger):

ما جاء به هايدجر غير تماماً ماهية الفهم وأهميته، وأوّل جديد أحدثه: هو تغيير مصطلح الفهم الأجنبي الإنجليزي: (Understanding) ويعني في رأيه ذلك "بالتعاطف، أي القدرة على الشعور بشيء مما يشعر به شخص آخر"²⁵ فهذا الفهم بالترجمة الإنجليزية عند قصده هو التواصل الوجداني النفسى؛ ولكنه يختلف تماماً في تعريفه للفهم ذلك أنّ هايدجر كان أشد المهتمين باللغة لأنها تعبر عن كينونة الانسان ووجوده حيث عبر عن هذا بقوله: "الفهم أسلوب لوجود الانسان ذاته، وهو شيء يكونه"²⁶.

وبذلك يعتبر هايدجر الفهم إثباتا لوجود الإنسان من خلال ما يقرأه فيشارك في صناعة ما كان إلى ما هو كائن بعبارة أخرى يشارك المؤول في فهم لغة النص والمؤلف (ما كان) ويتجاوز ذلك إلى صناعة نص يطلق عليه إعادة إنتاج الأصل. كما أتى بالهيرمنيوطيقا الدازاين في تعريفه للتأويلية التي تمثل ممارسة فهم وجودية، وتتلخص أهداف التأويل في الوصول إلى الفهم "فهم الوجود المشخص أقرب من فهم الوجود الحقيقي في معناه العميق، ويعتقد أن هناك وجودا بسيطا وساذجا عن الوجود وهو سابق على الفهم اللغوي والمنطقي"²⁷ فالإنسان يثبت وجودا مادام فكره دائم التساؤل والتأويل لفهم وجوده وإثبات كينونته واللغة هي التي تصنع علمه .

²² - نابي بوعلی: فلسفة التأويل من شلايرماخر إلى دلتاي (تأليف جماعي، التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير)، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009م، ص 180.

²³ - صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية، عرض نقدي لمنهج البحث، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2007م، ص 177.

²⁴ - المرجع نفسه: ص 132.

²⁵ - فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، تاريخ التصفح: 2022/01/03، التوقيت: 10:20 <https://www.hindawi.org/books/83586869/8>

²⁶ - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص 27.

²⁷ - داخل الحمداني: التأويلية في سياقها التاريخي، قراءات معاصرة، ص 102.

كما حدد ثلاث دوائر لفهم النصوص بعيدا عن قصدية المؤلف وأقر باستقلالية النص وأشار إلى اللانهاية المعنى وذلك بتعدد المفسر؛ وعبر به عن هذا من خلال الدائر الجمالية إذ أن المتلقي سيقدم كل طاقاته الإبداعية وتعدد الطاقات سيؤدي إلى تعدد القراءات والدلالات.

ووضح هيدجر إلى الفهم هو حاصل حوار المتلقي مع النص فيسأل المتلقي أسئلة يجيبه عنها النص وهنا يجب أن تكون للمتلقي أفاق سابقة من خلال اطلاعه على آراء سابقة حول النص تندرج هاتان الخطوتان تحت الدائرة التاريخية وهكذا يعتبر هيدجر أن أقل التأويلات صحيحة نسبيا لأن مجال الفهم منفتح لانفتاح الوجود.

4-6- الفهم عند غادامير: Hans-Georg Gadamer:

لقد تأثر غادامير بما تأثر بأستاذه هيدجر حول مفهوم الفهم الذي من حدّه الكينونة أو الوجود؛ ويلجأ إلى ما يسمى بالتاريخانية لتحقيق الفهم الذي يتحقق من خلال حوار الأنا مع الآخر حيث يستند في تعريفه للفهم على الحوار السقراطي الذي يعتبر منهجا معرفيا راقيا والفهم عنده هو: "إبراز رأي الآخر وإدراكه في وجوده من خلال الحوار حيث تفتح الذات على الموضوع أو الأنا على الآخر بهدف الوصول إلى اتفاق، أي إلى شيء مشترك نشعر معه باللفة"²⁸ إنّ الفهم عند غادامير هو نتاج انفتاح الأنا من أجل التواصل والمعرفة مع الآخر بواسطة الحوار وإثبات لوجودها-الأنا- لتشكل تصورات جديدة إلى الوجود.

ويضيف غادامير "التقليد أو التراث" لبناء مفهوم الفهم، ويرى أن امتزاج أفق القارئ بأفق النص يحقق الفهم "فأن نفهم يعني أن نتساءل عن معنى، وأن ترجمته بلغة هي دائما، وبالضرورة لغتنا"²⁹، فالقارئ والمؤول يرقى بمستوى اللغة التي تعتبر وساطة الحوار بينه وبين النص والمؤلف.

4-7- الفهم عند بول ريكور Paul Ricœur (1913):

يعرف بول ريكور الفهم بأنه "مجرد تخمين، وفي النهاية يرضي الفهم مفهوم التملك سيبدو التفسير إذن بوصفه وساطة بين مرحلتين من الفهم.... فليس الفهم مجرد تكرار للواقعة الكلامية في واقعة شبيهة، بل توليد واقعة جديدة تبدأ من النص"³⁰، فالفهم يقوم بعملية إنتاج الفرضيات أمام النص وصاحبه لأن مقاصد هذا الأخير ليست بين يدي المتلقي والفهم هو مرحلة نهاية لبداية فهم جديد، فهذه الحرية التي منحها بول ريكور للمؤلف بداية من خلفياته الثقافية والمذهبية والعقدية واللغوية ومقاصده التي تنتج عنه تأويلات لا متناهية "فداخل النص ذاته من جهة، عن الدينامية الداخلية المندسة خلف هيكله الأثر الأدبي، والبحث من جهة ثانية عن قدرة هذا الأثر على أن يلقي بنفسه خارج ذاته يولد عالما يكون بحق هو شيء النص"³¹.

²⁸- جورج هانز غادامير: تجلي الجميل ومقالات أخرى، تحرير: روبرت برناسكوني، تر: سعيد توفيق، المشروع القومي للترجمة، دط، 1997م، ص 11.

²⁹- جان غروندان، التأويلية، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2017م، ص 67.

³⁰- بول ريكور: الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص 121-122.

³¹- عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، ص 50.

5- جدل الفهم والتأويل: إنّ المتبع لمفهوم التأويل منذ ظهور مصطلح الهيرومنوطيقا يلاحظ كثيرا من الزبئية المفاهيمية حول التأويل والفهم مما أحدث تساؤلات كثيرة منها: هل التأويل هو نفسه الفهم؟ وهل نحن نفهم من أجل أن نؤول أم نؤول من أجل الفهم؟ وهل الفهم سابق للتأويل أم لاحقه، وهل يتفقان في الفعل الإجائي رغم اختلاف مفهومهما؟

يرى شلايرماخر أن التأويل هو فن تجنب سوء الفهم، فالتأويل عنده أصبح وسيلة لتحقيق الفهم الصائب الذي يستمد من اللغة أساسه "فمعياريته تتشكل في أنه صورة للتأويل، حيث يصبح التأويل فعلا ينتج فهما في حال نجاحه وإنتاج تأويله يعني الوصول إلى فهم المؤول"³².

ويبين ديلتاي في أن الفهم هو إجراء "شامل وموضوعي يتطابق مع عمل الشرح والتأويل، من حيث قيامه على آثار وشواهد ثابتة"³³، وهنا نفهم أن ديلتاي جعل للفهم والتأويل دلالة مشتركة وأن الفهم هو تجاوز إلى الكلية بموضوعية في مجال الفيلولوجيا "إلا أن ديلتاي لم يطرح بوضوح العلاقة بين إشكالية الفهم وإشكالية اللغة، فالفهم عنده ليس نشاطا لغويا بقدر ما هو استطاعة التسرب إلى الحياة النفسية وأن إدراك الواقع يمثل بالضرورة اكتشاف الحياة الحميمة التي تختفي وراء المظهر الباطني للمؤلف الخاص والمجموع المؤلفات وهذه الحياة تختلف باختلاف مجالات الإنتاج، فهي عند الشاعر الملكة الإبداعية وعند الفيلسوف نظرتة الشاملة إلى الإنسان والحياة وعند الرجل النشط وموقفه العلمي تجاه الواقع"³⁴.

يجعل هايدجر الفهم والتأويل منهجين لوجود الإنسان وإثبات كينونته، فلا يمكن الفصل بينهما بأي وجه من الأوجه متلازمين يقوم عليهما مجال الهيرومنوطيقا.

إن الفهم لا يجب أن يرتبط عند هايدجر بفهم الإنسان لذاته فقط، بل يسعى إلى فهم كل العالم والتأويل مهمّة لهذا الفهم، يبدو أن التأويل هو المرحلة اللغوية للفهم³⁵، والتأويل يلزم وجود اللغة التي تمثل انفتاح صور الوجود الإنساني ليتحقق عبره الفهم.

كما يركّز غادامير على تحرير النصّ ليتفتح على أفق متعددة تجعل من الفهم عملية ديناميكية قائمة على الحوار والفاعلية وأن لغة النص من المفاهيم التأسيسية لفعل التأويل³⁶ تنطلق من وجود الذات الإنسانية.

لقد جعل بول ريكو الارتباط بين الفهم والتأويل جدلا، إنّ اهتمام التأويل بإشكالية وجود الفهم أو بمعنى آخر كينونة الفهم كتصور فينومينولوجي، يهتم بالدرجة الأولى بانفتاح الكائن على ذاته وعلى الوجود بالتفسير ففي الذات يكون لدينا فرصة التعرف على الموجود³⁷. هذا التمايز الذي ذكره بول ريكور يعتبر كدّة فعل للمنظورات التي جاءت قبله والتي جعلت من الهيرومنوطيقا فنا للفهم.

³²- فتحي إنقزو: الفهم والتفسير: مسائل المنهج وأصولها التأويلية في فلسفة ديلتاي، جريدة تبين، شتاء 2020، العدد 8/13، ص 13.

³³- بوركبة بختة: هيرومنوطيقا شلايرماخر بين الفهم النحوي والتأويل التقني (قراءة في المفاهيم): مجلة المعيار، العدد السابع، جوان 2007، ص 15.

³⁴- المرجع نفسه، ص 15

³⁵- فرودة فاطمة، التأويل الهيدجري وقراءة لهرلدلين، الإصغاء إلى صوت الوجود، مجلة الحوار الثقافي، جامعة مستغانم، الجزائر العدد 1، 2016، ص 27.

³⁶- ينظر: جان غروندان: التأويلية، تر: جورج كتورة، ص 67.

³⁷- عمارة ناصر: اللغة والتأويل، مقاربات في الهيرومنوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، ط 1، 2007م، ص 20.

والتركيز على الفهم المسبق والتأويل سبيلان لمعرفة الإنسان بكيونونه فقط حتى أصبح لمفهوم الهيرمنيوطيقا بعدا فلسفيا متغاضية عن ذلك النص ومؤلفه وانفتاحهما اللذين يعبران عن وعي القارئ الذي ينتج عددا لا متناه من التأويلات والقراءات.

● خاتمة:

من خلال هذه المفاهيم والرؤى على اختصارها إلا انها كانت أهم محطات ركزت على الجدل القائم بين تشكل معنى الفهم والتأويل: فالهيرمنيوطيقا لم يتشكل لها مفهوما ثابتا لاختلاف التنظير حولها على اعتبار أنها قد مرت بمراحل ثلاث المرحلة الأولى الكلاسيكية حددت بأنها تفسير النصوص الدينية، ثم المرحلة الثانية الرومانسية مع شلايرماخر و ديلتاي اللذين جعلوا مفهوم الهيرمنيوطيقا يتعدى النص المقدس إلى قراءة العلوم الإنسانية والاجتماعية وأطلق عليها بالهيرمنيوطيقا العامة والمرحلة الفلسفية التي اهتمت بحقيقة الفهم مع هايدجر وغادامير.

إن عملية التأويل ملازمة لوجود الإنسان فهو نشاط ذهني إدراكي معقد يقوم به المؤول للوصول إلى مغزى النص وفقا لأنظمة حسية لغوية تم وضعها وفق علاقات مشكلة نصا يشترك فيها كل شركاء التواصل لتحويلها إلى دلالات متنوعة تكشف عن إيديولوجية المؤلف المتعددة والتي تعتبر أحد مستويات الفهم. كما أنّ عملية الفهم ترتبط ارتباطا وثيقا بغايات وأهداف التأويل الناتج عن التحليل والإدراك فينتقل المؤول من الجانب الحسي (النص) إلى المعنوي (المعارف) التي هي مآل الفهم.

يتفق التأويل مع القراءة، فكثير من الباحثين يقصدون بالقراءة ضمينا عملية التأويل، ومنهم من يراها متلازمين. فالتأويل كشف عن طريق البحث الدلالي أو النحوي.. إلخ لتصل وصولا للقراءة التي توسع نطاق المعنى وإنتاج معاني لامتناهية كل ما تعدد التأويل وتنوع من أجل حصول الفهم.

يتلخص غاية التأويل حصول الفهم وليس الفهم سابقا لعملية التأويل ولا مرادفا لها: الفهم كما جاء به غادامير معرفة الإنسان بكيونونه التي تثبت وجوده تاريخيا.

أصبح تحديد هدف التأويل من كونه منهج البحث عن معنى النص إلى فن فهم النص.

يعتبر شلايرماخر ودلتاي المؤسسين لمفهوم الهيرمنيوطيقا والفهم بعد أن كانت منهج دراسة النص المقدس والتي كانت تحت سيطرة الكنيسة إلى منهج دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية منطلقها الأساسي اللغة فقط.

إن الفهم والتأويل يتشاركان البحث عن ما وراء النص انطلاقا من العلامة إلى الفراغ الذي يمثل عدة جوانب مهمة وهي الدلالة النفسية والروحية وما هو وراء الدلالة ، والتأويل يأتي بين فهمين، فهم لساني يكون سطح النص، وفهم عميق يتورأ بين فراغات المعطى الدلالي للكلام يبحث في قصدية النص ومقصدية المتلقي.